لقاء بين علمين حول عبقرية الإمام علي عليه السلام

في حديث لشيخنا الوالد *- طاب ثراه - قال :

وقفت في (جريدة الساعة) البغدادية الصادرة في شهر محرم عام (1) على قصيدة عصماء للأستاذ حسين علي الأعظمي وكيل عميد كلية الحقوق ببغداد في رثاء الحسين (عليه السلام) وأشار في التعليق على بعض أبياتها إلى أن له مؤلفا في حياة الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) فأحببت أن اقف عن كثب على تأليفه وأسبر طريقته في ذلك . وإن وجدت لديه نظما في واقعة (الغدير) جعلته ضمن شعراء القرن الرابع عشر الهجري . فقصدت داره وكانت على مقربة من إحدى سفارات الدول الغربية ، فطرقت الباب فخرج إلي خادمه فسألته عن الأستاذ فأجاب نعم هو موجود في الدار ، فطلبت مواجهته فخرج إلي الأستاذ وما أن رآني اخذ يفكر في السر الذي دعاني إلى زيارته ، لم قصد هذا العالم الشيعي زيارتي ؟

أهو بحاجة للتوسط في قبول أبنائه في الجامعة ؟

أم للتوسط في توظيف أحد منسوبيه في إحدى الدوائر ؟

فبدأته بالسلام وقلت : أنا أخ لك في الدين ، فان كنت في شك من اسلامك فأنا قبل كل شئ اعترف باسلامك وايمانك لما سبرته في قصيدتك العصماء في رثاء سيدنا السبط الشهيد أبي عبد الله الحسين (عليه السلام) من نزعة دينية . وإنْ كنت في شك من إسلامي :

فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق . فخرج الأستاذ إلى خارج الدار ومد يده للمصافحة ، عند ذلك بسطت له ذراعي واحتضنته فتبادلنا القبلات وسار بي إلى الغرفة الخاصة باستقبال زائريه .

عند ذلك افتتحت الحديث بالكلام حول قصيدته ، وتطرقت إلى ما أشار إليه في التعليق على بعض أبياتها وأن له مؤلفا حول الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) وأنني قصدته من النجف الأشرف لأشكره على قصيدته ورؤية مؤلفه .

خلال بحثنا فيما عرضته عليه دخل الغرفة بكل أدب أشباله الثلاثة ، وكانوا من ذوي الثقافة العالية عليهم سيماء العلم والأدب .

وبعد المصافحة وتبادل عبارات الترحيب ، اغتنم الأستاذ الأعظمي الفرصة وأراد أن يستخبر ميزان ثقافتي وعلمي ، وما أتحلى به من العلوم الاسلامية فقال :

شيخنا ما رأيكم حول كتاب (عبقرية الإمام) تأليف الأستاذ المصري عباس محمود العقاد ؟

ولم يكن مضى على عرض كتابه في الأسواق التجارية سوى أشهر عديدة ، وقد لاقى اقبالا كبيرا بين الشباب العربي والإسلامي .

قلت : لا أخال أن الأستاذ العقاد كتب ما يشفي الغليل ، إذ ليس بوسعه ولا بوسع أمة من أمثاله عرفان شخصية الامام علي حقيقتها مهما جدوا واجتهدوا في ذلك .

وبهذا طرأ على الأستاذ وأبنائه استغراب وتفكير ، واستغرق ذلك شيئا من الوقت في جو يسوده الهدوء . فتقدمت بالكلام وقلت :

تسمحون لي ، قد أكون انا في كلامي أوجدت نزاعا بينكم . إذ بعد أن اترك الدار ستقوم القائمة بينكم ، فتعترضون على والدكم قائلين :

يا بابا ! كيف يتسنى لشخص بهذه البزة وهذا الهيكل أن يقف على الغث والسمين ويتعرف على ما جاء في كتاب (عبقرية الامام) ؟

وستكون إجابة الأستاذ إليكم : كلا يا أبنائي ، ليس الأمر كما تزعمون ، بل إن الرجل عالم من علماء أمة من المسلمين ، وعلى علم بكل شئ ، الا أنه لا يروقه أن يثنى على كتاب أديب سني مخالف لنزعته الدينية ، وحتى لا أكون أضرمت نار الفتنة بينكم سأقوم بحسم النزاع بعد أن أعرض على الأستاذ شواهد كلامي ، وان كنت مخطئا فسيتولى مناقشتي برأيه الصائب ويقضي بالحق وهو أستاذ القضاء ومربي رجالاته .

عند ذلك سألت الأستاذ الأعظمي قائلا :

هل يسعنا أن نقيس الأستاذ العقاد في الفكر والنظر بواحد من العلماء أمثال : أبي نعيم الأصفهاني ، الفخر الرازي ، ابن عساكر ، الكنجي الشافعي ، أو أخطب خوارزم وأضرابهم

ممن كتبوا حول الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) مؤلفا خاصا ، أو تطرقوا إلى ناحية من حياته في تآليفهم ؟

أجاب الأستاذ قائلا : شيخنا ، من الجفاء بحق العلم والعلماء ان نقيس مائة من أمثال العقاد بواحد ممن ذكرتم ، إذ ان أولئك أساطين العلم وجهابذة الفكر الاسلامي ، ولا يتسنى لانسان أن يسبر ما كانوا عليه من مكانة سامية في الحديث والتفسير والحكمة والفلسفة وسائر العلوم الاسلامية .

قلت : إذن ما السر في أن أولئك حينما يتطرقون إلى ذكر الإمام (عليه السلام) لم يتفوهوا في وصفه ببنت شفة بآرائهم الخاصة ، بل يذكرونه بما وصفه الوحي الإلهي وما روي عن النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) في حقه ؟

قال الأستاذ الأعظمي : هذه نظرية مبتكرة نرجو توضيحها كي نستفيد منها ونقف على السر الكامن فيها .

قلت : ألم نكن في دراستنا للمنطق قرأنا قول علمائه :

يشترط في المعرِّف أن يكون أجلى من المعرَّف ؟

فالصحابة وأئمة الحديث حيث وقفوا على قول النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) :

" علي ممسوس بذات الله " (2) .

وقوله (صلى الله عليه وآله وسلم) :

" يا علي ما عرف الله الا انا وأنت ، وما عرفني الا الله وأنت ، وما عرفك الا الله وأنا " (3) .

اهتدوا إلى أن وجودا ، هذا جزء يسير من خصائصه وصفاته ، من العسير على الأمة عرفان حقيقته الا بما وصفه المولى عز وجل به . فاعلنوا إلى الملأ أن عليا من المعنيين بقوله تعالى :

(إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) (4) .

وقوله تعالى : (قل لا أسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى) (5) .

وقوله تعالى : (انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون) (6) .

وقوله تعالى : (أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون) (7) .

وان خير معرِّف للإمام (عليه السلام) وخصائصه الذاتية هو ما أصحر به النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) من قوله :

" من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله " (8) .

وقوله : " علي مع الحق والحق مع علي يدور الحق مع علي حيثما دار " (9)

وقوله : " علي خير البشر من أبى فقد كفر " (10) .

وقوله : " علي مع القرآن والقرآن معه ، لا يفترقان حتى يردا علي الحوض " (11) .

ونرى الأستاذ العقاد قبل أشهر عديدة نشر كتابا حول الشاعر ابن الرومي وهو من رجال القرن الثالث الهجري ، وله تراجم مسهبة في كتاب التاريخ والسير ، ولم يتحل بشئ من الخصائص فوق خصائص الإنسان في حين أخذ العلماء والأساتذة عليه شطحات كثيرة ، ونشروا حولها مقالات مسهبة لعدم عرفانه بسيرة الرجل وسلوكه ، أو أخطائه في تحليل تاريخ حياته ، أو بعده عن دراسة نفسيته ، أو سوء تفهمه لفلسفة الرجل وشعره . فمؤلف هذا مبلغه من العلم في الكتابة عن انسان في شاكلته ، وهذه سعة اطلاعه عمن انبرى مئات من الكتاب في الكتابة عنه :

كيف يتسنى له أن يعرف بفكره ونظره شخصية ممسوسة بذات الله ، وان يكتب عن قطب رحى الحق الذي يدور الحق معه حيثما دار ؟

وانْ كنت أنت أيها الأستاذ قد اتبعت في تآليفك طريقة العقاد فأراني في غنى عن مطالعته ، وانْ اتبعت في كتابك سيرة السلف واعتمدت في بحثك على كتاب الله وسنة نبيه فسأكون شاكرا لك لو سمحت لي بمطالعته .

أجاب الأستاذ الأعظمي قائلا : كلا يا شيخ ، انا سرت في كتابي على كتاب الله وسنة نبيه ، وسأكون شاكرا لك مدى الحياة لو سبرت كتابي بدقة وأخذت علي ما فاتني مع ما أفضته علي من حديثك العلمي .

قلت له : هات بحثك وأظهر رؤوس عناوينه .

فأوعز إلى أحد أنجاله بذلك فأحضر ملفا ضخما كبيرا وقال :

أنا قمت بتحليل شخصية الامام شرحا وبيانا في الكلام حول أربعة أحاديث . الأول :

قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) :

" علي مع الحق والحق مع علي يدور الحق معه حيثما دار " .

قلت له : أترى هذه فضيلة تخص عليا سلام الله عليه ؟

قال : بلى ، ولم يشاركه فيه أي ابن أنثى .

قلت : فما تقول في قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) :

" عمار مع الحق والحق مع عمار يدور عمار مع الحق حيثما دار " ؟

وأوعزت إلى مصادر الحديث . وجم الأستاذ حينما سمع ذلك ، وطأطأ برأسه وطرأ على الحفل هدوء مشفوع بتأثر مزعج ، وبعد دقائق رفع الأستاذ رأسه وقال :

شيخنا نسفت ربع البحث بحديثك وقضيت على الحول الذي بذلته دونه .

قلت له : بل أحييت لك كتابك وأظهرت لك بالحديث الذي ذكرته ما خفي عنك وعن الصحابة قبلك السر الكامن فيه .

قال : وما ذلك ؟

قلت : عندما أصحر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بحديثه حول علي سلام الله عليه ، لم يدرك المجتمع الاسلامي الناحية الهامة الكامنة في الحديث ، لذلك أصحر بحديثه حول عمار ليدرك المجتمع مكانة علي سلام الله عليه الإلهية بذلك .

ففي حديث علي (عليه السلام) جعل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عليا محورا للحق وقطب رحاه ، قال :

" علي مع الحق والحق مع علي يدور الحق مع علي حيثما دار علي " . وفي حديث عمار قال :

" عمار مع الحق والحق مع عمار يدورعمار مع الحق حيثما دار الحق " . وبهذا أراد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) :

أن يبين للعالم أن عليا (عليه السلام) هو قطب رحى الحق ، والحق يدور معه حيثما دار هو سلام الله عليه ، وكل طالب للحق عليه أن يكون على صلة في علي (عليه السلام) كي يتسنى له أن يعرف الحق ويتصل به ويسير على نهجه .

هنا طرأ على الأستاذ وأنجاله فرحة وسرور فقالوا بصوت عال :

الله أكبر ، الله أكبر ، ما أحلاه من شرح وتوضيح يقام له ويقعد .

.....

المصادر :

* أي والد الحاج حسين الشاكري - ر - راجعْ كتاب : ربع قرن مع العلامة الأميني - الحاج حسين الشاكري - ص 64 - 69.

(1) لم يحضرني التاريخ بصورة دقيقة وأكثر ظني أنه كان بين أعوام 65 - 1367 هجرية .

(2) : حلية الأولياء ج 1 : 68 .

(3) مناقب ابن شهرآشوب ج 1 باب مناقب علي (عليه السلام) .

(4) سورة الأحزاب : الآية 33 . سنن البيهقي ج 22 : 5 ، صحيح الترمذي ج 2 : 209 ، مستدرك الحاكم ج 2 : 416 .

(5) سورة الشورى : الآية 23 . تفسير الطبري ج 25 : 16 ، حلية الأولياء ج 3 : 20 ، مستدرك الحاكم ج 3 : 172 ، أسد الغابة ج 5 : 367 .

(6) سورة المائدة : الآية 55 . تفسير الطبري ج 6 : 186 ، أسباب النزول ص 148 ، كنز العمال ج 6 : 319 ، تهذيب التهذيب ج 11 : 439 .

(7) سورة السجدة : الآية 17 . تفسير الطبري ج 21 : 68 ، أسباب النزول ص 263 ، الرياض النضرة ج 2 : 206 .

(8) الغدير ج 1 : 14 - 16 .

(9) صحيح الترمذي ج 3 : 166 ، تاريخ بغداد ج 14 : 321 .

(10) تاريخ بغداد ج 7 : 421 ، تهذيب التهذيب ج 9 : 419 ، كنوز الحقايق ص 98 .

(11) المعجم الصغير للطبراني ج 1 : 255 .